صيغة الفعل (باركنا) في القرآن الكريم دراسة نحوية دلالية

م.د.أمجد كامل عبد القادر*

تاريخ التقديم: 2008/4/15 تاريخ القبول: 2008/6/18

المقدّمـــــة

الحمد لله ربِّ العالمين، حمداً كثيراً طيِّباً مباركاً فيه كما ينبغي لجلال وجه ربِّنا وعظيمِ سلطانه، وأُصلِّي وأُسلِّمُ على المبعوثِ رحمةً للعالمينَ سيّدِنا محمّدٍ وعلى آله الطيّبين الطاهرين وصحابته الغرِّ الميامين وعلى من سار على نهجهم واقتفى أثرَهم إلى يوم الدين. أمَّا بعد. . .

فقد كانت العناية بالقرآن الكريم مؤسَّسة على تقوى الله وطاعته لا على أساس البواعث الشخصية، أو العوائد النفعية، وهي –العناية–ليست ترفاً في التفكير، ولا نافلة للنفس، ولا حاشية على هامش الحياة.

ومن هنا كان البحث في الألفاظ الإسلامية، أو قل في ألفاظ القرآن الكريم شيئاً لزاما لكل لغوي في كل عصر، فقد نزل القرآن الكريم بلغة العرب وعلى سننهم في التعبير وأساليبهم في البلاغة، فكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه، فألفاظ القرآن الكريم لها حلاوة لا تدانيها حلاوة، ولها عذوبة دونها كل عذوبة، فهي منتقاة من جواهر الفصيح من الألفاظ العربية التي تكسب الكلام بهاء وتمنحه فخامة وروعة.

إنَّ هذه المعاني العظيمة، فضلاً عن قدسية كتاب الله العزيز، جعلتني ألتفت إلى لفظة من ألفاظه وردت في مواضع قليلة من كتاب الله العزيز وهي تحمل في دلالتها ما تحمل من معاني جليلة ومناسبات لطيفة، وهذه اللفظة هي (باركنا)، التي غالبا ما أشارت إلى الأرض المباركة في فلسطين، فهذه البلاد وما حولها باركها الله سبحانه، وهي أرض مقدَّسة قدَّسها الله وجعلها أرض العقيدة والإيمان، وأرض الطهر والفضيلة، وأرض المواجهة والجهاد، وأرض الحسم

* قسم اللغة العربية/ كلية الآداب/ جامعة الموصل.

والتقرير، لاسيما إنها تشهد اليوم هجمة يهودية أمريكية خبيثة للسيطرة على الأرض المباركة وجعلها مقر القيادة اليهودية الصهيونية الشيطانية للسيطرة على العالم أجمع، لا مكَّنهم الله.

وقد تناولت في هذا البحث معنى البركة في اللغة، ثم تطورها ودلالاتها من المعنى اللغوي إلى المعنى الإسلامي، وعرضت دلالة الآيات التي تضمنت لفظة (باركنا) وما قاله المفسرون في معنى البركة الواردة فيها حيث تعددت آراؤهم وأقوالهم في تفسير هذه الآيات فرجَّحت ما رأيته مناسباً وناقشت بعض الآراء التي ذكرها أهل اللغة والتفسير، ثم بيَّنت الدلالة النحوية للفظة معتمدا أقوال النحاة وآراءهم في ذلك، ثم وقفت عند الدلالة الإحصائية لـ(باركنا)، فقد كان للفظة من أسرار العدد ما يستحق البيان والإيضاح وهذا من تمام البحث وكماله، وأوضحت بعد كل هذا أهم النتائج التي توصلنا إليها في هذا البحث المبارك الذي تناول لفظة مباركة من كتاب الله العزيز، والله أسأل أن ينفعنا بما علَّمنا وأن يعلمنا ما ينفعنا، فهو حسبي ونعم الوكيل.

البركة في اللغة

الباء والراء والكاف أصل واحد وهو ثبات الشيء، ثم يتفرع فروعاً يقارب بعضها بعضاً[1]، وأصل البَرْك صدر البعير وإن استعمل في غيره[2]، والبَرَكَةُ النماء والزيادة والسعادة، والتبريك الدعاء للإنسان أو غيره بالبركة، يقال:برَّكت عليه تبريكاً، أي قلت له بارك الله عليك، وبارك الله الشيء وبارك فيه وعليه وضع فيه البركة، ويقال:لا بارك الله فيه، أي لا نَمّاه. وأما قولهم:بارَك الله لنا في الموت فمعناه:بارك الله لنا فيما يؤدِّينا إليه الموت، وبَرَكَ البعير يَبْرُك بُروكاً، وهو أن

(1) مقاييس اللغة،لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا(ت395هـ)، دار الجيل، بيروت – لبنان،1420هـ – 1999م، الطبعة:الثانية، تحقيق:عبد السلام محمد هارون، (برك):1/227.

(2) مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني(ت425تقريباً)، تحقيق:صفوان عدنان داوودي، دار القلم بدمشق،والدار الشامية ببيروت، الطبعة الثالثة 1424هـ،(برك):119.

يلْصِق بَرْكَه بالأرض. والبَراكاء:الثَّبات في الحرب، كأنهم بركوا فيها، وبَرَكَ بُروكاً وتَبْراكاً:اسْتَناخَ، كبَرَّكَ، وأبْرَكتُه، ثَبَتَ وأقامَ. والبَرْكُ:إبِلُ أهلِ الحِواءِ كُلُّها التي تَروحُ عليهم بالِغَةً ما بَلَغَتْ، وإنْ كانت أُلوفاً، أو جَماعَةُ الإبِلِ البارِكَةُ، والبَرْك للإنْسانِ، والبِرْكَةُ، بالكسر :لما سواهُ، والبُرَك:طائر[1].

وقال الكفوي رحمه الله :((البركة النماء والزيادة حسية كانت أو معنوية. . . والبركة في الحديث (تسحَّروا فإنَّ في السحور بركة)[2]، بمعنى زيادة القوة على الصوم أو الرخصة لأنّه لم يكن مباحاً في أول الإسلام وقيل الزيادة في العمر))[3].

وثمة فرق بين البركة والزيادة؛ فالبركة هي الزيادة والنماء من حيث لا يوجد بالحس ظاهرا، فإذا عهد من الشئ هذا المعنى خافيا عن الحس قيل هذه بركة وقيل:اشتقاقها من البروك، وهو اللزوم والثبوت، لثبوتها في الشئ، ويوصف بها كل شيء لزمه وثبت فيه خير إلهي، وليس لضدها اسم معروف، فلذلك يقال فيه:قليل البركة، ولا يسند فعل البركة إلا إلى الله، فلا يقال:بارك زيد في الشئ، وإنما يقال:بارك الله فيه. وإلى هذه الزيادة أشير بما روي أنه لا ينقص مال من صدقة، لا إلى النقصان المحسوس، فإذن كل بركة زيادة، وليس كل زيادة بركة[4].

---

(1) ينظر المحكم والمحيط الأعظم، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي(ت458هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت – 2000م، الطبعة:الأولى، تحقيق:عبد الحميد هنداوي، (ب ر ك):22/7، و لسان العرب،

(2) صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل أبي عبدالله البخاري الجعفي(ت256هـ)، تحقيق:د. مصطفى ديب البغا، دار
ابن كثير , اليمامة، بيروت، الطبعة الثالثة، 1407هـ – 1987م:678/2.

(3) الكليات – معجم في المصطلحات والفروق اللغوية – لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي(ت1094هـ)،أعده للطبع ووضع فهارسه الدكتور عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة،
بيروت، لبنان،الطبعة الثانية، 1419هـ–1998م:248.

(4) ينظر الفروق اللغويَّة لأبي هلال العسكري (ت 395هـ)،تحقيق علي الطباطبائي وآخرين مؤسسة النشر الإسلامي،

التطور الدلالي لـ(البركة)

وقد تطور لفظ (البركة) وانتقل من المعنى اللغوي إلى المفهوم الإسلامي فصارت (البركة) بمعنى :ثبوت الخير الإلهي في الشيء، ومنه قوله عز وجل :﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[1]، والمُبارَك ما فيه ذلك الخير، ومنه قوله عز وجل ﴿ وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴾[2]، تنبيهاً على ما يفيض عليه من الخيرات الإلهية[3]، قال المفسرون في هذه الآية:وهذا أعني القرآن أنزلناه من السماء إلى الأرض مباركاً،وإنما سماه مباركاً لأنه ممدوح كل من تمسك به، فانه ينال الفوز العظيم،ولأنَّ قراءته خير والعمل به خير،وفيه علم الأولين والآخرين،وفيه مغفرة الذنوب وفيه الحلال والحرام[4]،وبارك الله الشيء وفيه وعليه وحوله :جعل فيه الخير والنماء دائمين ثابتين،ومُبَارَك اسم مفعول ومؤنثه مُبَارَكة[5]،والبركة كذلك هي من كلمات التحية المستعملة في الدعاء[6].

ووردت البركة ومشتقاتها (32) اثنتين وثلاثين مرة في القرآن الكريم، وما يهمنا هنا هو ورود الفعل الماضي (باركنا) المقترن بضمير الفاعل المعظَم (نا)، إذ وردت هذه اللفظة (6) ست مرات في مواضع مختلفة من القرآن الكريم، وقد

قم، إيران (د. ت):96-97.

(1) سورة الأعراف:96

(2) سورة الأنبياء:50.

(3) ينظر مفردات ألفاظ القرآن (برك):119، والكليات:248.

(4) مجمع البحرين،للشيخ فخر الدين الطريحي (ت1085هـ)،تحقيق السيد احمد الحسيني،مطبعة الآداب في النجف،(د. ت):5/257-258.

(5) معجم ألفاظ القرآن الكريم،مجمع اللغة العربية،ط2،الهيأة المصرية العامة للتأليف والنشر،1390هـ-1970م،(برك):1/95-96.

(6) تفسير الآلوسي (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني)، للعلامة أبي الفضل
شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي (ت 1270هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ت):12/73.

ذكر المفسرون بعض الأقوال في بيان معنى (باركنا)، أهمها بركة الزروع والثمار في الأرض التي وصفت في الآيات الست بـ(باركنا)، وهذا ما سنوضحه خلال عرضنا لتلك الآيات إن شاء الله تعالى.

وفي حقيقة الأمر أنّه لا ينبغي لنا أن نقصر بركة الأرض المبارَك فيها على بركة الزروع والثمار وما شابه ذلك، لأنّ هناك معانيَ أخرى تتضمنها البركة في هذه الأرض التي بوركت في كتاب الله عز وجل أستطيع إجمالها فيما يأتي:

1- البركة في الزروع والثمار ومجاري الأنهار ومناخ الأرض وطقسها.

2- البركة في موقع الأرض (الاستراتيجي) والحضاري بوصفها واقعة في قلب العالم.

3- البركة القدسية الإيمانية، بوصفها ارض الأنبياء والصالحين، فقد ولِد فيها سليمان وعيسى وغيرهما من أنبياء الله عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، بحسب ما ورد في الإنجيل [1]، وقد ورد في الحديث القدسي ما يبين عظمة هذه الأرض وبركتها الإيمانية فقال الله عز وجل في الحديث ((يا شام أنت صفوتي من بلدي وأنا سائق إليك صفوتي من عبادي))[2]، فضلاً عن أنّها ارض دفن فيها إبراهيم وإسحاق ويعقوب (عليهم السلام) وغيرهم من أنبياء الله تعالى[3].

4- البركة التأريخية، فهي البلاد التي لها تأثير مباشر على حركة التأريخ البشري، في القديم والحديث، وسيبقى لها هذا الأثر الفعّال حتى قيام الساعة، فكم من الأمم سكنت فيها؟! وكم من المعارك الفاصلة وقعت فيها؟! وكم شهدت قادة عظاماً كتب لهم التأريخ أروع صور البطولة والشجاعة؟! فما أكرمها من أرض استمد منها التأريخ سطوره!

---

(1) الإنجيل، الكتاب المقدس – العهد الجديد، دار المشرق، بيروت، لبنان، 1986م، الفصل الأول والثاني:2- 4.

(2) مسند الشاميين، لسليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق:حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة:الأولى،1405 - 1:1984/345.

(3) ينظر قصص الأنبياء للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير، مكتبة النهضة، بغداد، ط2، 1986م:190.

5- البركة الجهادية، فهذه الأرض المباركة منذ جيل الإسلام الأول إلى يومنا هذا ما زال الجهاد قائما فيها، ولا يخفى على أي مسلم منزلة الجهاد العظيمة التي أوعدها الله تعالى لعباده المجاهدين، فكم أنجبت هذه الأرض من المجاهدين العظماء؟! وكم من الدماء أريقت عليها؟! وكم من الشهداء سقطوا فيها؟! وكم ينتظرها من هذا في المستقبل؟!

6- البركة الإسلامية، بوصفها أرض الإسلام والمسلمين منذ الإسراء بنبينا محمد ﷺ وإمامته بالأنبياء (عليهم السلام) في المسجد الأقصى، فمعجزة الإسراء والمعراج فيها دلالة وإشارة واضحة إلى أن هذه الأرض إسلامية، وان القدس ملك للمسلمين وان المسجد الأقصى هو مسجد إسلامي لا كما يزعم اليهود وغيرهم بأن المسجد الأقصى ملكهم، فهذه كلُّها ادّعاءات باطلة وأن الحق هي ارض إسلامية مباركة باركها الله عز وجل وجعل الخير فيها.

دلالة (باركنا) في الآيات القرآنية

وردت لفظة(باركنا)في ست آيات من كتاب الله العزيز، يمكن بيانها على النحو الآتي:

أولاً/ قال تعالى :﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي **بَارَكْنَا** فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُواْ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ﴾[1].

تتحدث الآية عن بني إسرائيل وصنع فرعون بهم، فبعد أن تبع فرعون وجنوده موسى والمؤمنين أنجى الله تعالى موسى (عليه السلام) وأتباعه المؤمنين من فرعون وقومه، وجعلهم يجتازون النهر إلى الأرض المقدسة، ولما تبعهم فرعون وجنوده أطبق الله عليهم البحر وأغرقهم فيه[2].

(1) سورة الأعراف:137

(2) ينظر تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، لمحمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري (ت310هـ)،

وقد أورث الله تعالى موسى وقومه المؤمنين الذين كانوا مستضعفين في مصر عند فرعون وأتباعه الأرض التي باركها الله تعالى، وصاروا يتجوّلون بين مشارق الأرض ومغاربها كما أخبر القرآن الكريم، وجعل الله عز وجل لأولئك القوم المؤمنين هذه الأرض المباركة جائزة لهم على إيمانهم وثمرةً مباركة لجهادهم وصبرهم وإيمانهم بالحق الذي جاء به موسى (عليه السلام) وثباتهم على هذا الحق[1].

وهي الأرض المقدسة في فلسطين وقيل أرض الشام جميعاً ومصر[3]، وأظنُّ الأرجح هو الأرض المقدسة؛ لأنّ الآية قصّت علينا ما جرى بين أتباع موسى (عليه السلام) وفرعون وأنّ موسى وشيعته ذهبوا إلى الأرض المباركة التي أورثهم الله تعالى إياها،ولذلك ذكر الآلوسي أن سبب البركة في الأرض المذكورة هو أنها مساكن الأنبياء والصالحين[4]، وهذا ما جرى في الأرض المقدسة في فلسطين.

ثانيا/ قال تعالى :﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي **بَارَكْنَا** حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾[5].

دار الفكر،بيروت،1405هـ:43/9، و تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي(ت671هـ)، دار الشعب، القاهرة،(د.ت):272/7،وروح المعاني:37/9.

(1) ينظر قصص الأنبياء لابن كثير:348.

(2) ينظر تفسير الطبري:44/9.

(3) تفسير البغوي (معالم التنزيل)، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت516هـ)، تحقيق:خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة، بيروت،:194/2، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق:ابن عثيمين مؤسسة الرسالة، بيروت،1421هـ- 2000م،:302.

(4) روح المعاني:37/9.

(5) سورة الإسراء:1

شاءت قدرة الله عز وجل أن يسكن سيدنا محمد ﷺ في بلاد الحجاز عند بيت الله المحرم،وأن يكون الإسراء بالنبي ﷺ من المسجد الحرام في مكة المكرمة إلى المسجد الأقصى في الأرض المباركة، تمهيداً لعروجه عليه الصلاة والسلام إلى السماوات العلى.

وما عليه أكثر المفسرين أنَّ البركة حول المسجد الأقصى هي بالأنهار والأشجار والثمار، وبأنَّ هذا المسجد المبارك هو مقر الأنبياء ومهبط الملائكة وموطن العبادات والأرزاق والبركات، ومنه يحشر الناس يوم القيامة[1].

وقوله عز وجل (الذي باركنا حوله) أبلغ من القول (الذي باركنا فيه)، فمعنى (حوله):أي لأجله باركنا بالأرض التي تحيط به من جميع جهاته فما ظنك فيه نفسه[2] ؟! فالمسجد الأقصى هو قلب البركة التي تتفرع منه لتعم جميع الجهات التي حوله، ولو جاء التعبير (الذي باركنا فيه) لفُهِم من ذلك أنَّ البركة خاصة به وليس لها تفرع منه، فهذا أقل شأناً من قوله (الذي باركنا حوله) فالتعبير القرآني هنا بيَّن أنَّ هذا المسجد هو مصدر البركة وعنه تتفرع البركات الكثيرة التي تعم كل ما حوله فهي بركة مكان وزمان كما هي بركة إنسان، قال سيد قطب رحمه الله :((ووصف المسجد الأقصى بأنه (الذي باركنا حوله) وصف يرسم البركة حافة بالمسجد فائضة عليه، وهو ظل لم يكن ليلقيه تعبير مباشر مثل (باركناه)، أو (باركنا فيه) وذلك من دقائق التعبير القرآني العجيب))[3].

وكونُ البركة حولَه كنايةٌ عن حصول البركة فيه بالأوْلى، لأنها إذا حصلت حوله فقد تجاوزت ما فيه؛ ففيه لطيفة التلازم، ولطيفة فحوَى الخطاب، ولطيفة المبالغة بالتكثير. وقريب منه قول زياد الأعجم:

---

(1) معاني القرآن للفراء،لأبي زكريا يحيى بن زياد(ت207هـ)،تحقيق محمد علي النجار وآخرين،دار

(2) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور،للإمام برهان الدين أبي الحسن البقاعي(ت885هـ)،خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه عبدالرزاق غالب مهدي، دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط2، 1424هـ-2004م:329/4.

(3) في ظلال القرآن،لسيد قطب،دار الشروق،بيروت، ط11،1405هـ-1985م:2212/4

إنَّ السَّماحَةَ وَالمُروءَةَ وَالنَّدى في قُبَّةٍ ضُرِبَت عَلى ابنِ الحَشرَجِ[1]

ولكلمة (حوله) في هذه الآية أيضا من حسن الموقع ما ليس لكلمة (في) في بيت الشاعر، ذلك أن ظرفية (في) أخص. فقوله :(في قبة) كناية عن كونها في ساكن القبة لكن لا تفيد انتشارها وتجاوزها منه إلى ما حوله.

وأسباب بركة المسجد الأقصى كثيرة كما أشارت إليه كلمة(حوله). منها أن واضعه إبراهيم عليه السلام، ومنها ما لحقه من البركة بمن صلى به من الأنبياء من داوود وسليمان ومن بعدهما من أنبياء بني إسرائيل، ثم بحلول الرسول عيسى عليه السلام وإعلانه الدعوة إلى الله فيه وفيما حوله، ومنها بركة من دُفن حوله من الأنبياء، فقد ثبت أن قبري داوود وسليمان حول المسجد الأقصى. وأعظم تلك البركات حلول النبي صلى الله عليه وسلم فيه ذلك الحلول الخارق للعادة، وصلاته فيه بالأنبياء كلهم عليه الصلاة والسلام.

ووصف المسجد الأقصى هنا في الآية المباركة بالاسم الموصول (الذي) فيه دلالة على سعة هذه البركة، فإنه يوصف بالاسم الموصول إذا أريد به التوسع والشمول، ولاسيما (الذي) فهو أخص من غيره من الأسماء الموصولة[2].

والملاحظ في الآية المبارك أنَّ فيها فنَّ الإلتفات حيث صرف الكلام من الغيبة (سبحان الذي أسرى بعبده) إلى صيغة المتكلم المُعَظَم في (باركنا،ومن آياتنا)، والتعظيم هنا يدل على عظمة البركات والآيات لأنَّها كما تدل على تعظيم مدلول الضمير فإنها تدل على عظم ما أضيف إليه وصدر عنه، كما قيل إنَّما يفعل العظيم العظيم.

إنَّ الإسراء بسيدنا محمد ﷺ فيه دلالة واضحة على أنَّ هذه الأرض إسلاميّة وأن أمة محمد ﷺ هي الوارثة للبركة والقداسة التي فيها، وذلك أن أمّة الإسلام هي أمة مباركة جاءها نبي مبارك أنزل عيه كتاب مبارك من عند الله تبارك وتعالى المُبارِك لهذه الأرض، إذ بوصول ارث الأرض المباركة إلى هذه الأمة المباركة عمَّت البركة الربانية هذه الأرض وما حولها.

---

(1) ديوان زياد الأعجم،دار صادر،بيروت،(د. ت)،64.

(2) معاني النحو،للدكتور فاضل صالح السامرائي،جامعة بغداد،بيت الحكمة،1987م:135/1.

ثالثاً/ قال تعالى متحدثاً عن إبراهيم (عليه السلام) :﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي **بَارَكْنَا** فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾[1].

تخبرنا الآية الكريمة أن الله تعالى قد أنجى إبراهيم ولوطا (عليهما السلام) من قومهما الكافرين، فلما سكن إبراهيم ولوط في العراق وقام إبراهيم بدعوة قومه إلى توحيد الله عز وجل وترك عبادة الأصنام والأوثان، وواجههم بالدليل القاطع والبرهان الساطع ودعا أباه إلى ذلك فرفض، ثم دعا ملك العراق النمرود بدعوة التوحيد فرفض كذلك، ولما وجد القوم أنفسهم في سفاهة كبيرة حكموا على إبراهيم بالحرق، فأشعلوا النار فيه فجعلها الله برداً وسلاماً على إبراهيم[2]، قال تعالى:﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ [3].

وبذلك وصلت الأمور بين إبراهيم وقومه إلى الفراق والهجران، فلا بد أن يفارقهم ويخرج من بينهم، وإلاّ قاموا بقتله أو تعذيبه، فأمره الله تعالى كما تخبرنا الآية أن يذهب إلى الأرض المباركة ليكمل دعوته إلى الله عز وجل، ولا بأس بالاستئناس هنا بنص من التوراة إذ فيه موافقة لكتاب الله عز وجل، حيث جاء في العهد القديم (التوراة):((وقال الرب لإبرام انطلق من أرضك وعشيرتك وبيت أبيك إلى الأرض التي أريك، وأنا أجعلك أمة كبيرة وأباركك وأعظم اسمك وتكون بركة، وأبارك مباركيك، وشاتمك ألعنه، ويتبارك بك جميع عشائر الأرض، فانطلقَ إبرام كما أمره الرب وكان معه لوط))[4].

فاستقر إبراهيم (عليه السلام) في منطقة بيت المقدس من الأرض المباركة، ووجَّه الله تعالى نبيَّه لوطاً (عليه السلام) إلى الشرق من بيت المقدس، ليكون نبيَّاً عند القوم القاطنين شرق فلسطين، والذين عُرِفوا فيما بعد بقوم لوط[5].

---

(1) سورة الأنبياء:71.

(2) ينظر قصص الأنبياء لابن كثير:142-148.

(3) سورة الأنبياء:69.

(4) (التوراة) الكتاب المقدس،العهد القديم،دار المشرق،بيروت،لبنان،1986م،سفر التكوين،الفصل الثاني عشر:24.

(5) ينظر قصص الأنبياء لابن كثير:147

وهذه الأرض التي أقام فيها النبيان الكريمان إبراهيم ولوط (عليهما السلام) هي المقصودة بقوله عز وجل:﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي **بَارَكْنَا** فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾،قال الزجاج:((إنها من أرض الشام إلى أرض العراق))[1]، ووافقه أبو السعود في ذلك قائلا:((أي من العراق إلى الشام وبركاته العامة، فإن أكثر الأنبياءِ بُعثوا فيه فانتشرت في العالمين شرائعُهم التي هي مبادي الكمالات والخيراتِ الدينية والدنيويةِ، وقيل :كثرةُ النعم والخِصْب الغالب، روي أنه عليه السلام نزل بِفلَسطين ولوطٌ عليه السلام بالمؤتفكة وبينهما مسيرةُ يومٍ وليلة))[2].

وجاء التعبير القرآني هنا على قوله عز وجل (باركنا فيها) ولم يقل (باركناها) وذلك للمبالغة في البركة بجعلها محيطة بكل أرض ملاصقة لبيت المقدس[3]،فتعدية الفعل هنا بوساطة حرف الجر (في) أبلغ من تعديته بغير وساطة،لأن البركة فيها أعم وأشمل فضلا عن المبالغة في تأكيد البركة،وفي الآية من مدح الشام ما فيها، وجاء في الحديث ((ستكون هجرة بعد هجرة فخيار أهل الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم))[4]، وعَنْ ابْنِ عُمَرَ (رضي الله عنه) أَنَّ رسول الله ﷺ قال:((اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمَنِنَا قَالُوا وَفِي نَجْدِنَا قَالَ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَبَارِكْ لَنَا فِي يَمَنِنَا قَالُوا وَفِي نَجْدِنَا قَالَ هُنَاكَ الزَّلَازِلُ وَالْفِتَنُ وَبِهَا أَوْ قَالَ مِنْهَا يَخْرُجُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ))[5].

---

(1) معاني القرآن وإعرابه للزجاج:323/3.

(2) تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء
التراث العربي، بيروت، (د. ت):77/6.

(3) روح المعاني:70/17.

(4) سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث أبي داود السجستاني الأزدي، دار الفكر، تحقيق:محمد محيي الدين
عبدالحميد:4/3.

(5) الجامع الصحيح سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى أبي عيسى الترمذي السلمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت،

رابعاً/ قال تعالى:﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي **بَارَكْنَا** فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾ [1].

سخر الله تعالى لسليمان (عليه السلام) ما لم يسخر لغيره من العالمين،حيث ذلل له الريح والطير والجبال وغيرها وجعلها تحت أمره تتحرك بمشيئته،فكانت هذه الريح تغدو بأمر سليمان تروح لمدة شهر،وتغدو في شهر كذلك،إذ تتحرك في مختلف بقاع مملكته الإسلامية من فلسطين إلى اليمن[2]،قال تعالى:﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [3]، وعصوفُها:شدة هبوبها،وهذه الريح تجري بأمر سليمان إلى الأرض التي بارك الله فيها، وهي ارض الشام، وذلك أنها كانت تجري بسليمان وأصحابه إلى حيث شاء سليمان، ثم تعود به إلى منزله بالشام، فلذلك قيل:(إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا)[4].

الأمور التي حدثت في فلسطين الأرض المقدَّسة والمباركة لها دلالة واضحة على عمق هذه الأرض وأصالتها وعظم البركة التي تنتشر فيها بوجود الأنبياء وتوافدهم عليها [5].

وقال بعض المفسرين:إنَّ الأرض المباركة هي كل أرض سار إليها سليمان كائنة ما كانت،وذلك أنه لم يكن يسير إلى أرض إلا أصلحها وقتل كفَّارها

تحقيق:أحمد محمد شاكر وآخرين:733/5.

(1) سورة الأنبياء:81.
(2) تفسير الطبري:55/17.
(3) سورة سبأ:12.
(4) تفسير الطبري:55/17.
(5) ينظر روح المعاني:77/17.

وأثبت فيها الإيمان وبثَّ فيها العدل ولا بركة أعظم من هذا،فكأنَّ الله عز وجل يقول إلى أرض باركنا فيها بعثنا سليمان إليها[1].

خامساً/ قال تعالى:﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي **بَارَكْنَا** فِيهَا قُرىً ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾[2].

بعد أن أسلمت ملكة سبأ على يد سليمان (عليه السلام) نشأت هناك صلة وثيقة بين فلسطين الأرض المباركة ومملكة سبأ في اليمن،فكانت مملكة سبأ من ضمن مُلكِ سليمان،أي إنها كانت تحت حكمه (عليه السلام) بعد أن أسلمت ملكة سبأ مع قومها[3].

وقد جعل الله تعالى بين سبأ والأرض المباركة في فلسطين قرى ظاهرة بارزة عامرة،آهلة بالسكان،إذ يبيّن الله تعالى ما كانوا فيه من الغِبْطة والنعمة، والعيش الهني الرغيد، والبلاد الرخية، والأماكن الآمنة، والقرى المتواصلة المتقاربة، بعضها من بعض، مع كثرة أشجارها وزروعها وثمارها، بحيث إن مسافرهم لا يحتاج إلى حَمل زاد ولا ماء، بل حيث نزل وجد ماء وثمرا، ويَقيل في قرية ويبيت في أخرى، بمقدار ما يحتاجون إليه في سيرهم[4].

وقد ذهب ابن عباس (رضي الله عنه) وابن مجاهد إلى أنَّ القرى التي بورك فيها –في هذه الآية– هي بيت المقدس[5]،وذكر الثعالبي وغيره من المفسرين أنَّ المقصود بالقرى المباركة هنا هي بلاد الشام قاطبة[1].

---

(1) ينظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق:عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى،1413هـ– 1993م:94/4،وروح المعاني:77/17.

(2) سورة سبأ:18.

(3) قصص الأنبياء لابن كثير:505.

(4) تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، لإسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبي الفداء (ت774هـ)، دار الفكر، بيروت، 1401هـ:534/3.

(5) تفسير الطبري:83/22.

ومعنى (القرى التي باركنا فيها) في سياق هذه الآيات:أي اعتنينا بها اعتناء من يناظر آخر بغاية العظمة بأن جعلناها محلاً للرزق والعلم والأنبياء والأصفياء والأولياء[2]، وكان عدد القرى الظاهرة يزيد على الأربعة آلاف وسبعمائة[3].

سادساً/ قال تعالى عن نبيه إبراهيم وإسحاق:﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ۞ **وَبَارَكْنَا** عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾[4].

بعد أن هاجر إبراهيم (عليه السلام) من العراق وسكن الأرض المباركة في فلسطين واستقر هناك حيث جرت له أحداث كثيرة خلال هذه الفترة،وما يهمنا هنا هو أنَّ الله تعالى بشَّر إبراهيم وزوجه سارة بذرية صالحة بعد أن كانت زوجه عاقراً وإبراهيم شيخاً كبيراً،قال عز وجل:﴿ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ۞قَالَتْ يَا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ۞ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾[5].

ورد في التوراة:((وقال الله لإبرام ساري امرأتك لاتسمِّها ساري بل سمها سارة وأنا أباركها وأعطيك منها ابنا وتكون أمم وملوك وشعوب منها يكونون))[6]،والبركة في هذه الآية لها وجهان؛ الأول:أنه تعالى أخرج جميع أنبياء

---

(1) تفسير الثعالبي (الجواهر الحسان في تفسير القرآن)، لعبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت:244/3.

(2) نظم الدرر:171/6.

(3) المصدر نفسه.

(4) المصدر نفسه.

(5) سورة هود:71–73.

(6) التوراة(العهد القديم)،الفصل السابع عشر:30.

بني إسرائيل من صلب إسحاق،والثاني:أنه تعلى أبقى الثناء الحسن على إبراهيم وإسحاق إلى يوم القيامة،لأنَّ البركة عبارة عن الدوام والثبات[1].

وقد وردت في هذه الآية قراءة أخرى هي (بَرَّكْنَا) بالتشديد والمبالغة[2]،أي أفضنا عليهما بركات كثيرة في الدنيا والآخرة[8]،فصيغة(فعَّل) تدل على كثرة الفعل وتكراره،فكيف إذا كان صاحب التبريك هو الله عز وجل؟!فأعظم به مُبارِكاً وأعظم بها بركة!.

إذن ولِد إسحاق (عليه السلام) في الأرض المباركة من أبوين مبارَكَين،وقد بشَّر الله تعالى إبراهيم وزوجه بهذه الذرية المباركة،فحصلت البشارة في الأرض المباركة،وهذا تناسب لطيف لأنَّ البشارة نوع من أنواع البركة،وقد دعت الملائكة لإبراهيم وزوجه (عليهما السلام) بالرحمة والبركة في الأرض المباركة،وبذلك نزلت البركة على إبراهيم وابنه إسحاق في الأرض المباركة في فلسطين (وباركنا عليه وعلى إسحاق).

والملاحظ في الآية الأخيرة هذه أنّ لفظ (باركنا) لم يأت لوصف الأرض،وإنما جاء لوصف مَن هو ساكن في هذه الأرض وهو سيدنا إبراهيم (عليه السلام) وذريته الطيبة المباركة،لتبين لنا أنّ بركة الله عز وجل في هذه الأرض غير مقتصرة على الأنهار والثمار وكثرة الخصب والسعة،بل هي بركة إنسان كذلك فكم من العظماء من ذرية إبراهيم وإسحاق سكنوا هذه الأرض وسجلوا فيه أروع قصص التأريخ والبطولات؟!فسياق اللفظة هنا يختلف عن مثيلاتها،إلا أن هناك إشارة فيها كذلك إلى الأرض المباركة في فلسطين،والله تعالى أعلم.

---

(1) تفسير الرازي(التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب)، لفخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي(ت606هـ)،

(2) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري

(8) الكشاف:61/4.

الدلالة النحوية لـ (باركنا)

(باركنا) فعل ماض متصل بضمير الرفع (نا) الذي وقع فاعلاً عائداً إلى الله تعالى، وهو هنا للتعظيم، ولم يرد في القرآن الكريم (باركت) بالتاء التي تدل على المتكلم المفرد، وهذا يدل على عظمة هذه البركة وعلى مصدرها العظيم سبحانه وتعالى، فهي بركة عظيمة أودعها الله عز وجل في هذه الأرض ولا يقوم بالعظيم إلا العظيم.

واتصال الفاعل وإظهاره مع الفعل وعدم استتاره أو بناء الفعل للمجهول فيه دلالة واضحة على أنَّ للبركة الواحد وهو الله عز وجل، وليس لأحد أن يتدخل قي وضع البركة أو رفعها، ولذلك ورد الفعل (تبارك) في القرآن الكريم أكثر من (9)مرات وهو يختص بالله عز وجل وحده فلا يسند إلى غيره[1]، ولا يتصرف؛ فلا يأتي منه مضارع ولا أمر[2]، قال صاحب اللسان:((تبارك الله أي تقدَّس وتنزه وتعالى وتعاظم ولا تكون هذه الصفة لغيره))[3]،و(تبارك الله) تأتي بمعنى بارك، مثل قاتل وتقاتل إلا أن فاعل يتعدى وتفاعل لايتعدى.

وجاء التعبير القرآني بالفعل الماضي، ولم يأت على الفعل المضارع، فلم يرد في القرآن الكريم (أبارك أو نبارك أو يبارك) لأنَّ المضارع يدل على الحدوث والتجدد، فلو جاء التعبير القرآني بالمضارع لظنَّ بعضهم أنَّ هذه الأرض بوركت في الحاضر أو في المستقبل، وأنَّ هذه البركة تأتي أحياناً وترفع أحياناً أخرى، إلا أن الفعل الماضي هنا يدل على الثبوت والاستقرار للبركة الربانيَّة، وأنَّ هذه البركة قد ثبتت في الأرض منذ القرون الماضية إلى يومنا هذا.

ودلالة الماضي هنا على الثبوت والاستقرار يخالف ما استقر في أذهان كثير من النحاة من أنَّ الفعل بإطلاقه يدل على الحدوث والاسم يدل على الثبوت،

---

(1) روح المعاني:230/18

(2) معجم الأفعال الجامدة،لأسماء أبو بكر محمد،دار الكتب العلمية،بيروت–لبنان،ط1،1413هـ–1993م:30.

(3) لسان العرب (برك):396/10.

ومما يدل كذلك على استقرار البركة وثبوتها في تعبير (باركنا) بالماضي أنَّ الجذر اللغوي (ب ر ك) بكل مشتقاته يدل على الثبوت والاستقرار في لزوم الصفة لله عز وجل سواء أكانت فعلاً أم صفة[1].

والملاحظ في الآيات التي وردت فيها (باركنا) للأرض المباركة أنها وصِفت بالاسم الموصول (التي) ووصف المسجد الأقصى بالاسم الموصول المذكر (الذي) وهذان الاسمان الموصولان أخصّ من غيرهما من الأسماء الموصولة، فلا توصف الجملة بـ(الذي) إلا إذا كان المخاطب له علم سابق بالشيء الموصوف، جاء في دلائل الإعجاز:((والقول المبين في ذلك أن يقال إنَّه إنما اجتلب (يعني الذي) حتى إذا كان قد عرف رجل بقصة وأمر جرى له فتخصّص بتلك القصة، وبذلك الأمر عند السامع، ثم أريد القصد إليه ذكر (الذي)، تفسير هذا أنَّك لاتصل (الذي) إلا بجملة من الكلام قد سبق من السامع علم بها))[2]، فالأرض المباركة أو المسجد الأقصى له خصوصية وعلم عند جميع المخاطبين من الأمم الماضية والحاضرة على مختلف طوائفها وذلك لأهمية هذه الأرض التي تحتضن المسجد الأقصى أولى الكعبتين وثالث الحرمين الشريفين، وقد جرت على هذه الأرض معجزات وكرامات وبطولات قدّرها الله تعالى أن تجري على هذه الأرض المباركة.

وإذا ما أنعمنا النظر في سياق جميع الآيات التي تضمنت لفظة (باركنا) وجدنا أنَّ كلَّ آية قد اختصت بنبيّ أو نبيين من أنبياء الله تعالى (عليهم الصلاة والسلام) ففي قوله عز وجل:﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي **بَارَكْنَا** فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُواْ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ﴾[3]، أنَّ هذه الآية اختصت

(1) ينظر مقاييس اللغة(برك):277/1

(2) دلائل الإعجاز،للإمام ع التنجي،دار الكتاب العربي،بيروت–لبنان،1425هـ–2005م:139 بدالقاهر الجرجاني(ت471هـ)،شرحه وعلق عليه ووضع فهارسه الدكتور محمد

(3) سورة الأعرف:137.

بنبي الله موسى (عليه السلام) وقومه، وإكرام الله تعالى لهم، فهذه الآية وردت بعد الآيات التي ذكر فيها موسى وما كان يصنعه فرعون ببني إسرائيل، واختلف المفسرون في وقوع (باركنا)،فذهب بعضهم إلى أنها صفة للأرض وذهب آخرون إلى أنها صفة للمشارق والمغارب ولم يجوزوا وصفها للأرض للفصل بين الصفة والموصوف، وأظن أنَّ وقوع (باركنا) هنا صفة للأرض أولى من وقوعها صفة للمشارق والمغارب وذلك لتناسبها مع أخواتها من الآيات الأخرى، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أجاز النحاة الفصل بين الصفة والموصوف[1]، وقد ورد ذلك في القرآن الكريم ومنه قوله عز وجل:﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾[2]، ومنه قول الفرزدق:

فَكَيْفَ إذا مَرَرْتُ بِدَارِ قَوْمٍ وَجيْرَانٍ لَنَا كَانُوا كِرَامِ[3]

فالشاعر هنا فصل بين الصفة وموصوفها بجملة كاملة من كان واسمها وخبرها، وقدم خبر كان على اسمها، وتقدير الكلام – على هذا – وجيران كرام كانوا لنا.

أما الآية الثانية فقد اختصت بسيدنا محمد ﷺ في حادثة الإسراء والمعراج، قال عز وجل:﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[4]، و(الذي باركنا) هنا صفة مدح،قال أبو حيان في تفسير (الذي باركنا

(1) ينظر شرح الكافية، لرضي الدين الاستراباذي (ت686هـ)،دار الكتب العلمية،بيروت–لبنان،(د. ت):261/1،و همع الهوامع في شرح جمع الجوامع،لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي(ت911هـ)، تحقيق:عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية–مصر، (د. ت):329/2.

(2) سورة الواقعة:76

(3) ديوان الفرزدق،دار صادر،بيروت،1400هـ:78،وكتاب سيبويه، لأبي البشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه(ت180هـ)، تحقيق:عبد السلام محمد هارون عالم الكتب،بيروت،الطبعة الثالثة:153/2.

(4) سورة الإسراء:1.

حوله):((صفة مدح لإزالة اشتراط عارض وبركته بما خص به من الخيرات الدينية كالنبوّة والشرائع والرسل الذين كانوا في ذلك القطر ونواحيه ونواديه، والدنيوية من كثرة الأشجار والأنهار وطيب الأرض.

وفي الحديث « أنه تعالى بارك فيما بين العريش إلى الفرات وخص فلسطين بالتقديس »[1]))[2].

والآية الثالثة تحدثت عن نبيين من أنبياء الله تعالى، هما إبراهيم ولوط (عليهما السلام)، وذلك قوله عز وجل:﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي **بَارَكْنَا** فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾[3]، والذي نلحظه هنا في جملة (باركنا) مطلقة للعالمين جميعا، وليست مقيدة لفئة من الناس أو طائفة من الطوائف، فهي أرض مباركة لكل العالمين باختلاف أصنافهم ولغاتهم وألوانهم.

والآيتان الرابعة والخامسة اختصتا بنبي الله سليمان (عليه السلام) في تسخير الريح وبناء مملكته في القرى الظاهرة من اليمن إلى فلسطين،قال تعالى :﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي **بَارَكْنَا** فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾[4]، وقوله:﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي **بَارَكْنَا** فِيهَا قُرىً ظَاهِرَةً

(1) لم أعثر على هذا الحديث في مظانه،وإنما وجدته في كتاب تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل،لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي(ت547هـ)، تحقيق:محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري،دار الفكر،بيروت،1:140/1995.

(2) البحر المحيط في التفسير، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت754هـ)، تحقيق:الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض،دار الكتب العلمية،بيروت– لبنان، 1422هـ –2001م، الطبعة الأولى،:7/6.

(3) سورة الأنبياء:71.

(4) سورة الأنبياء:81.

وَقَدَّرْنَا فِيْهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِين﴾[1] ، والآية السادسة ذكرت النبيين الكريمين إبراهيم وابنه إسحاق عليهما السلام)، قال تعالى:﴿ **وَبَارَكْنَا** عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾[2]، و(على) هنا للاستعلاء المجازي، أي تمكُّن البركةِ من الإحاطة بهما.

وإنَّ جميع الآيات التي تضمنت الجملة الوصفية (باركنا) اتفقت في وقوع هذه الجملة في محل جر نعت للأرض المباركة أو المسجد الأقصى المبارك، وشبه الجمل التي وقعت بعد الجملة الفعلية (باركنا) هي ثلاث :(فيها) و (حوله) و (عليه)، وهذا فيه دلالة واضحة من تمكن البركة في الموصوف من كل الجهات، فالبركة في الشيء وعليه وحوله تعني نزولها في الشيء المبارَك والإحاطة به من كل جانب.

الدلالة الإحصائية لـ(باركنا)

من الثابت أنّ القرآن الكريم ليس كتاباً بيانيا فحسب، بل هو كتاب شامل لكل العلوم البشرية، وأنَّ اللفظ القرآني هو لفظ مقصود بكل كلماته وحروفه، فاللفظة بل الحرف فيه وضع وضعا فنيا مقصودا، ولم تراع في هذا الوضع الآية وحدها بل روعي هذا الوضع في جميع سور القرآن الكريم، ومما يدل على ذلك الإحصاءات الرياضية التي أظهرتها الدراسات الحديثة والتي بيَّنت بوضوح أنَّ القرآن الكريم إنما حسب لكل حرف فيه حسابه، وأنّه لايمكن أن يزاد فيه أو يحذف منه حرف واحد[3].

واللفظة التي نعيش في ظلالها (باركنا) لم تكن بمعزل عن الإحصاءات الرياضية، فمن خلال تتبعي لهذه اللفظة في كتاب الله العزيز وجدت فيها بعض الدلالات الإحصائية، والتناسب اللطيف بين بعض الأعداد، مما يجعل القارئ يقف

(1) سورة سبأ:18.

(2) سورة الصافات:113

(3) ينظر التعبير القرآني،للدكتور فاضل صالح السامرائي،جامعة بغداد،بيت الحكمة،1986م،12.

بخضوع وتذلل أمام هذا الكلام الرباني العظيم، وسأعرض هنا أهم الإحصاءات التي وجدتها في هذه اللفظة على النحو الآتي:

1- وردت لفظة (باركنا) (6) مرات في كتاب الله العزيز وهي متكونة من (6) أحرف، وقد أشارت الآيات المتضمنة للفظة إلى (6) أنبياء هم (موسى، ومحمد، وإبراهيم، ولوط، وسليمان، وإسحاق)عليهم الصلاة والسلام، ومن اللطائف أيضا أنَّ الأرض المباركة التي أشارت إليها الآيات (فلسطين) متكونة كذلك من (6) أحرف، ومثلها (الأقصى) و (المقدس)، والأرض المباركة كان أكثر سكانها وأنبيائها من بني إسرائيل، وهذا فيه إشارة إلى ثلاثة أنبياء هم أشد الأنبياء بلاءً ببني إسرائيل، وهم (موسى، وعيسى، ومحمد) عليهم الصلاة والسلام، وقد أنزل الله عليهم الكتب السماوية المعروفة (التوراة، والإنجيل، والقرآن)، فثلاثة أنبياء بثلاثة كتب يتناسب مع العدد(6)!

2- مجموع الآيات التي وردت فيها (باركنا) =(421)، ومجموع تسلسل السور التي وردت فيها (باركنا) كذلك =137،ومجموع العددين 421+137= 558 وهو من مضاعفات العدد (6) يعني :6×93=558.

3- مجموع تسلسل السور = 137، وهذا الرقم (137) هو رقم أول وردت فيها لفظة (باركنا)، وهي في سورة الأعراف آية (137).

4- أمَّا الحساب الشعري للفظة (باركنا) فهو كالآتي:

الباء = 2 ، الألف = 1 ، الراء = 200 ، الكاف = 20 ، الألف = 1 ، النون = 50

إذن مجموع اللفظة = 274 وقد تناسب هذا العدد مع الأرقام الآتية:

أ- العدد (274) هو مضعف العدد (137)، أي 274÷2=137، والعدد (137) هو مجموع تسلسل السور التي وردت فيها اللفظة، كما هو رقم أول آية وردت فيها لفظة (باركنا) في سورة الأعراف.

ب- ومجموع بقية الآيات التي وردت فيها اللفظة = 284، وهو يفرق عن حساب اللفظة بـ(10) وهذا الفارق نفسه في سورة الأنبياء التي تكررت فيه (باركنا) مرتين في الآية

(71) والآية (81).

ج- اقترنت آخر آية وردت فيها لفظة (باركنا) بالواو، وذلك في سورة الصافات (وباركنا

عليه. . الآية) والواو في الحساب الشعري = 6، فكأنها واو الستة إذ اقترنت مع سادس آية

وردت فيها اللفظة، وهي هنا تؤكد العدد (6) الذي بيّنا أثره في نقطة (1).

5- أرقام الآيات التي تضمنت اللفظة هي (137)و(1)و(71)و(81)و(18)و(113)، ولو أخذنا

هذه الأرقام من غير تكرار وجمعناها، أي :7+3+1+8=19،والعدد (19)له أسراره

الكبيرة في القرآن الكريم، ولو قسّمنا عدد سور القرآن على عدد ورود اللفظة 114÷6=19.

6- جميع الكلمات التي وقعت بعد (باركنا) في كتاب الله اتفقت في عدد حروفها (4)، وهذه

الكلمات هي (فيها) و (حوله) و (عليه)!

خاتمة البحث

بعد هذا العرض القرآني المبارك لدلالة (باركنا) يجدر بنا أن نذكر أهم النتائج الآتية:

1- إنّ لفظ (البركة) تعرض لتطور دلالي من معناه اللغوي إلى المعنى الإسلامي الذي يحمل للفظة
دلالات متعددة، إذ أصبح معنى البركة من الزيادة والنماء إلى ثبوت الخير الإلهي، والتحية
والدعاء، فضلا عن شمول هذه اللفظة للمعاني الأخرى التي دلت عليها.

2- الفعل (باركنا) في الآيات الست مسند إلى الله تعالى، أي إنَّ الذي بارك هذه الأرض هو الله تعالى
وحده، فالبركة من عنده عز وجل ولا دخل للبشر أو أي مخلوق في ذلك.

3- إنَّ الفعل (باركنا) في الآيات الست مطلق، غير مقيد ولا محدد بزمن أو نوع، وهذا يدل على أنَّ
البركة الربانيَّة لهذه الأرض المباركة مطلقة غير محددة ولا مقيدة وهي شاملة لكل أنواع البركة.

4- التعبير عن البركة بالفعل الماضي (باركنا) يدل على ثبوت واستقرار البركة الربانيَّة لهذه
الأرض، لأنَّ الفعل الماضي يفيد الثبوت والاستقرار هنا، فالله تعالى قد شاء الاستقرار للبركة في
هذه الأرض، وجعلها ثابتة فيها، ودلالة الفعل الماضي هنا على الثبوت يخالف ما استقر في

أذهان كثير من النحاة من أنَّ الفعل بأزمنته الثلاثة يدل على التجدد والحدوث، وأنَّ الاسم يدل على
الثبوت، فالجذر اللغوي (ب ر ك) بكل مشتقاته يدل على الثبوت والاستقرار في لزوم الصفة لله
تعالى سواء أكانت فعلا أم صفة.

5- البركة المذكورة في الآيات الست أحيانا تكون للأرض المباركة (فلسطين)، حيث وردت (باركنا
فيها) أربع مرات، وأحيانا تكون لمن يسكن هذه الأرض المباركة من الأنبياء والصالحين، كما
قال تعالى عن إبراهيم وابنه اسحاق (عليهما السلام) :((وباركنا عليه وعلى اسحاق))، وجاءت
آية الإسراء لتخصص المسجد الأقصى بالبركة، فهو مصدر لإشعاع هذه البركة لما
حولها، فبالرغم من شموله بالبركة في الآيات السالفة، إلا أنَّه خصص هنا تأكيدا لبركته وقدسيته
ومنزلته العظيمة عند الله عز وجل.

6- وصف المسجد الأقصى بالاسم الوصول (الذي) دلالة على سعة هذه البركة فإنّه يوصف بالاسم
الموصول إذا أريد به التوسع والشمول ولاسيما (الذي) فهو أخص من غيره من الأسماء
الموصولة، وقد أكّد القرآن الكريم ذلك بالقول (باركنا حوله) الذي يفيد أنَّ البركة تتوسع وتشع
في دوائر حول المسجد الأقصى، فنواة البركة ومحورها هو المسجد الأقصى وبيت
المقدس،ودوائر هذه البركة متلاحقة لتشمل كلَّ الأرض المباركة ما بين الفرات والنيل، فالبركة
هي بركة زمان وبركة مكان وبركة إنسان.

7- وإذا كانت بركة الزمان والمكان مطلقة في الآيات الست المباركة، فإنَّ بركة الإنسان المقيم في
هذه الأرض ليست مطلقة بل تبيّن الآيات أنَّ بركة الإنسان مقيدة بقرينة الإيمان، فبركة الله تعالى
لإبراهيم وإسحاق (عليهما السلام) الساكنَيْنِ في هذه الأرض لأنهما نبيان كريمان، ولما تحدثت
الآية عن ذريتهما قسمتهما إلى قسمين؛ قال تعالى:((وباركنا عليه وعلى إسحاق ومن ذريتهما
محسن وظالم لنفسه مبين)).

8- دلّت الآيات التي تضمن لفظة (باركنا) أنَّ البركة الربانيَّة في هذه الأرض ليست إقليمية ولا
عنصرية ولا طائفية، فهي ليست لقوم أو مجموعة أو أمة، وإنَّما جعلها الله تعالى عامة
للعالمين، فقال فيها عز وجل:﴿ الْأَرْضِ الَّتِي **بَارَكْنَا** فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾، والعالمون هم الناس
جميعا، على اختلاف الزمان والمكان، في أي بقعة من بقاع الأرض، وكون البركة في الأرض
المباركة للعالمين ردٌّ قرآني واضح على دعاوى اليهود العنصرية في أنَّ الله عز وجل جعل هذه
الأرض المباركة لهم وحدهم دون غيرهم، وأنَّهم شعب الله المختار كما يزعمون.

9- استعمال ضمير التعظيم (نا) بدلا من ضمير المفرد (ت)، إذ جاء التعبير القرآني على (باركنا)
ولم يرد في القرآن كله (باركت)، يدلّ على عظمة البركة وعلى عظمة مصدرها، وعظمة

المكان التي حلَّت فيه، فهي بركة عظيمة في مكان عظيم من عند الله تعالى العظيم.

10- وردت (باركنا) في سورة الأنبياء مرتين دون باقي السور، وذلك تناسب لطيف مع هذه السورة

المباركة، وهو أنَّ معظم الأنبياء والرسالات السماوية كانت في الأرض المباركة التي وردت في

القرآن الكريم.

11- أظهرت الدراسة الإحصائية للفظة (باركنا) الدلالات الرقمية العجيبة لهذه اللفظة في القرآن

الكريم، مما يدل على أنَّها لفظة وضعت في أماكنها المناسبة بحساب دقيق جداً، فاللفظة وردت

(6) مرات، وهي متكونة من (6) أحرف، وقد تضمنت ذكر (6) أنبياء، وهذا الرقم يوافق عدد

حروف الأرض المباركة (فلسطين)، و(الأقصى) بـ(ال) التعريف العهدية فالأقصى لايعرف إلا

بـ(ال) العهدية ومثله (المقدس) المتكون كذلك من (6) أحرف، واللفظة في الحساب الشعري

تساوي (274) وهذا العدد هو مضعف العدد (137) وهو رقم أول آية ذكرت لفظة (باركنا) في

سورة الأعراف،كما هو مجموع تسلسل السور التي وردت فيها اللفظة، وقد اقترنت لفظة

(باركنا) في آخر آية وردت فيها بـ(الواو)، والواو في الحساب الشعري تساوي(6) وهذا تناسب

لطيف مع الآية السادسة التي وردت فيها (باركنا) وتناسب أيضا مع العدد (6) الذي بيّنا أثره في

اللفظة، وغير ذلك من الناسبات العددية.

12- إنَّ جميع السور التي وردت فيها الآيات التي تتضمن لفظة (باركنا) جميعها مكيّة، ومن طبيعة

السور المكّيّة أنَّها تبحث في جانب العقيدة وترسيخها في نفوس المؤمنين، فكأنَّها تشير إلى أنَّ

هذه الأرض مباركة من عند الله ومقدّسة في عقيدة المسلمين، والمستقبل في هذه الأرض

المباركة لأمة الإسلام التي بارك الله فيها وبارك في نبيّها وبارك في كتابها، فهي أرض في

صلب عقيدة المسلمين فلن يتنازلوا عنها ولو أهريقت فيها أنهر من الدماء الطاهرة وهذا ما

تعيشه اليوم أرض فلسطين وما تشهده من تضحيات كبيرة يسجلها التأريخ بماء الذهب على

صفحات من نور.

فهذه أهم اللطائف والدلالات التي اقتبسناها من (باركنا) الواردة في كتاب الله العزيز، والحمد لله في البدء والمنتهى، وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

Form of the Verb (باركنا) in the Holy Quran

A Semantic–Syntactic Study

Dr. Amjad kamil

Abstract

The verb (باركنا) (to bless) is mentioned six times in the Holy Quran. Blessing in language refers to increase and growth and then blessing is developed to be the firmness of Allah blesses in certain thing. This verb indicates the greatness of blessing in the holy land Palestine and its surroundings and it has syntactic, stylistic and statistic references indicating the greatness of Allah blessing.